بدء عام جديد

يا أخوتي الأحباء. لو كانت أعوام حياتكم تتنافس فيما بينها. فأي عام من هذه الأعوام يكون أفضلها؟

لا تتعبوا أنفسكم في فحص الماضي. إنما ليت هذا العام الجديد يكون هو الأفضل. ويكون هو العام المثالي.

ليت هذه السنة الجديدة - التي نحن علي أبوابها - تكون أحسن سنوات العمر. وأكثرها قبولاً عند الله والناس

وليتنا نقول هذه العبارة في كل عام جديد يطل علينا.

وكما يدرّب البعض أنفسهم علي يوم مثالي. يقضونه في أجمل وضع روحي واجتماعي. هكذا فليكن لنا تدريب العام المثالي. ونجعل كل يوم من أيام هذا العام يوماً مثالياً. وكل ساعة منه فلتكن أيضاً ساعة مثالية.

* * *

ليت الله - تبارك اسمه - يكون في بدء عامنا. نبدأ العام به. ويكون أول من نتكلم معه في هذا العام. لكيما يباركه...

في منتصف ليل ٣١ ديسمبر. ينقضي عام ٢٠٠٢ ويبدأ عام آخر. فما أجمل أن تبدأ أول ساعة منه مع الله.

نشكره علي أنه قد وهبنا عاماً جديداً...

ونطلب منه المغفرة علي كل ما أخطأنا به في العام الماضي.

ونطلب البركة لأنفسنا وأهلنا وأحبائنا. وللمجتمع الذي نعيش فيه. ولوطننا العزيز وللعالم أجمع.

وأمنياتنا في العام الجديد. فلنقدمها إلي الله نفسه. لأنه هو القادر علي تحقيقها وليس نحن...

* * *

وقبل كل شيء. فلنشكر الله علي كل إحساناته إلينا وإلي كل أحبائنا ومعارفنا. لأنه ليست موهبة بلا زيادة. إلا التي بلا شكر.

أقول هذا. لأن غالبية الناس يطلبون كثيراً. بينما قليل منهم هم الذين يشكرون! ولكن الشكر ينبغي أن يسبق الطلب...

فلنشكر الله الذي أحيانا إلي هذه الساعة.

ولنذكر كل إحساناته إلينا واحدة فواحدة. وما أكثرها...

ولا نريد أن يتعجب الملائكة منا. ويقولون: ما هذا الشعب الناكر الجميل. الذي أعطاه الله كذا وكذا... ولم يشكر علي شيء! بل هو باستمرار دائم الطلب. دون شكر!

* * *

هذا العام الجديد. هو صفحة بيضاء في حياتنا. لم نكتب فيها شيئاً بعد. تري ما الذي سنكتبه في هذه الصفحة من صفحات تاريخنا؟

أترانا سنرضي الله في هذه المقبلة. وننفذ مشيئته. ونكون أفضل حالاً مما كنا عليه فيما سبق؟

هل ستكون كل دقيقة من دقائق هذا العام دسمة ومثمرة. ومملوءة بالخير والبركة. لنا وللآخرين؟ أترانا سنحرص علي كل دقيقة تمرّ من عمرنا. وتكون كل ساعة من حياتنا ثمينة في نظرنا. لا نعمل فيها إلا كل عمل صالح. من أجله نستحق الحياة؟...

هل نعتبر أنفسنا مجرد وكلاء علي هذه الحياة التي نحياها؟

فحياتنا ليست ملكاً لنا. إنما هي ملك للّه الذي وهبنا إياها. ونحن قد تسلمناها منه. لنكون أمناء عليها. وسنقدم عنها حساباً أمامه...

* * *

إن الوقت المملوء بالخير. هو الذي سيحُسب من عمرنا

هو الوقت الحي في هذا العمر. أما الأوقات التي لا تُستغل في الخير. فهي ميتة. لا تُحسب في الحياة. بل قد تميت غيرها معها!

فعلي ذلك أسألكم: كم هي الأوقات التي ضاعت من عمركم. ولم تُحسب لكم؟ وكم هي الأوقات المحسوبة من عمركم. الحية المثمرة؟

كم هي سنوات حياتكم الحقيقية علي الأرض؟

انظروا إلي حياتكم. وليسأل كل منكم نفسه: كم ساعة من العمر كانت خيرة مثمرة نيرّة؟ وكم ساعة كانت علي غير ذلك؟ كم ساعة قضيناها مع الله؟ وكم من الوقت قضيناه بعيداً عنه؟

ليتنا نواجه أنفسنا في صراحة وصدق ونسألها: كم هو الوقت الذي كان لنا في عمرنا؟ وكم هو الوقت الذي كان علينا وضدنا؟

* * *

وبهذه المناسبة. إنني أعجب ممن يبحث عن طريقة لقتل الوقت!!

إن الذي يقتل الوقت. إنما يقتل حياته. لأن حياته هي هذا الوقت. مثل هذا الإنسان الذي يبحث عن طريقة يقضي بها وقته حتي يمر الوقت عليه بلا ملل.. مثل هذا الإنسان لا يشعر بأن هناك قيمة لحياته! إنه يعيش بلا هدف. وبلا رسالة.

حياته رخيصة في عينيه. لأن وقته رخيص في عينيه. لذلك يبحث عن طريقة يقتل بها هذا الوقت الرخيص. الذي لا ثمن له!

بينما هناك أشخاص. كل دقيقة من حياتهم لها قيمتها ولها وزنها. بل انهم يبحثون عن الوقت فلا يجدونه... لأن أهدافهم أكبر بكثير جداً من سعة وقتهم وقدرته...

* * *

بل هناك أبطال في التاريخ. كانت حياتهم قصيرة. ولكنها غالية.

وهناك من قضوا أوقاتهم بجدية. فنموا نمواً مبكراً...

وهناك من عاشوا حياة مثالية. قدموا فيها صورة للانسان النابغ. وصورة للانسان النافع. وقاموا برسالات عظيمة. كانوا فيها قدوة لغيرهم ومثالاً.

وقيست حياتهم بمفعولها وليس بطولها. وكان مفعولها عجيباً

بل ان عملاً واحداً قام به أحد هؤلاء الكبار. سجله التاريخ له بحروف من نور. كان عملاً خالداً: لا يقاس بالوقت الذي تم فيه. إنما بتأثيره في أجيال وأجيال من بعده.

مثال ذلك إنتاج فكري لا يزال العالم ينتفع به. أو اختراع نافع من انتاج أحد المخترعين. استفاد به العالم حتي بعد موت مخترعه... كانت أوقات كل هؤلاء بركة للبشرية كلها...

* * *

حقاً إن مقاييس الوقت. تختلف في طولها وعمقها

إن ساعات قليلة من حياة إنسان. قد تكون أطول وأعمق في مفعولها من عمر كامل لإنسان آخر. سواء من جهة الخير أو الشر. من جهة النفع أو الضرر...

وأنت هل وقتك صديق لك أم عدو؟

هل هو لك أم عليك؟ هل تكسب فيه الحياة أم تخسرها؟ هل تنمو فيه روحياً وعلمياً. أم ترجع فيه إلي الوراء؟ اسأل نفسك..

هل مرّ عليك وقت قلت فيه في ندم عن أحد أيامك: ليت هذا اليوم لم يكن من حياتي! فمشاكل عمري كله هي من نتاج هذا اليوم. الذي فيه ضيعت عمري بتصرفي ما..!

ومن الناحية الأخري: هل مرّ عليك وقت آخر. كان له تأثيره الجميل في حياتك. وفي حياة الناس أيضاً؟

* * *

هناك أشخاص كانت حياتهم بركة لأجيالهم.

لدرجة تجعل بعض الناس يقولون: "لقد عشنا في زمن فلان. عشنا في جيله وعاصرناه". مثل هذا الشخص أعطي جيله شهرة ما واسماً.. فهل أنت هكذا: يفرح الناس أنهم عاشوا في أيامك وأنهم عاصروك وتأثروا بك؟

هل لك تأثير في جيلك؟ أو علي الأقل في دائرة معينة منه: في بلد ما. أو عمل ما؟ أو في تخصص ما؟ وهل وجودك كان له تأثيره وفاعليته وبركته؟ هل حياتك تركت بصماتها علي غيرك أم أنك مررت علي جيلك كأن لم تكن. لم يشعر بك أحد؟!

* * *

كثيراً ما يرتبط الجيل بشخص ما. ويتسمي باسمه:

وذلك علي كافة المجالات: كما نقول في الأدب الانجليزي عصر شكسبير. وكما نقول في السياسة عصر نابليون. أو في الفلسفة عصر سقراط أو عصر أفلاطون. أو نقول في الموسيقي: عصر بتهوفن. أو نقول في الفن: عصر مايكل انجلو. أو نقول في الأدب العربي: عصر شوقي وحافظ...

كان لكل واحد من هؤلاء عمر مميز. وعمل مميز. وطابعه الذي ألقاه علي عصره. فتميز العصر به: إما الجيل كله. أو أحد عناصر ذلك الجيل.

ربما لا يعرف البعض اسم بابا روما الذي عاش في زمن مايكل انجلو. ولكن ربما يصفونه بأنه الذي عاصر مايكل انجلو.

* * *

وهناك أشخاص آخرون عاشوا وكأنهم لم يولدوا!

قضوا فترة علي الأرض - وربما كانت سنوات طويلة - وكأنهم غير موجودين! كأنهم لم يعيشوا!. إذ لم يستفد جيلهم شيئاً من وجودهم. ولم يحدثوا تأثيراً ولو ضئيلا. حتي في الدائرة الضيقة التي عاشوا فيها.

كان وقتهم بلا ثمر. لم يستغلوه لمنفعتهم. ولا لمنفعة أحد. لذلك صارت حياتهم فراغاً. ولم يهتم التاريخ بهم. ولا العالم الآخر أيضاً.

أما أنتم. فاحذروا أن تكونوا من هذا النوع. وضعوا في أنفسكم في بداية هذا العام. أن تكون حياتكم نافعة.

* * *

في مناسبة عام جديد. اجلسوا كل واحد إلي نفسه. يحاسبها

يحاسبها: ماذا فعلت؟ وماذا ينبغي أن تفعل؟

وهل في حياته ما ينبغي أن يغيره أو ما يصححه؟ وهل هناك فضائل معينة تنقصه في حياته. ينبغي أن يقتنيها؟ وكيف؟

ما أكثر ما ينشغل البعض بحفلات رأس السنة. وبرامجها والإعداد لها. بحيث يكونون في انهماك ولقاءات واهتمامات. لا تعطيهم فرصة علي الإطلاق للجلوس إلي أنفسهم. وربما في تلك البرامج يسمعون محاضرات عن أهمية الجلوس مع النفوس. دون أن يكون لهم وقت يخلون فيه إلي أنفسهم . يفصحون أين هم؟ وماذا عليهم أن يفعلوا لكي يكونوا في حالة أفضل مما هم عليها.

* * *

ليس العام الجديد. هو مجرد عام جديد في التقويم السنوي

إنما ينبغي أن يكون جديداً في الحياة: في تقييمها. وفي تقويمها

إنها ليست عمق الأهمية أن ننتقل من عام ٢٠٠٢ إلي عام ٢٠٠٣. فهذا شيء طبيعي لا نبذل فيه مجهودا. انما المهم ان تكون لنا جلسة تخطيط للمستقبل بالنسبة إلي العام الجديد. فنخرج بخطة عملية. ومنهج حياة. في كل تصرفاتنا. وفي كل علاقاتنا مع الله ومع النفس. ومع الناس. في جو من الصراحة الكاملة.

أقول هذا. لأن غالبية الناس يعيشون في دوامة الحياة. لا يعرفون فيها أين هم؟ وكيف يسيرون؟ وإلي أين؟ يسلمهم الأمس الي اليوم. ويسلمهم اليوم الي غدي. وهم في متاهة الأمس واليوم وغد. لا يفكرون: إلي أين؟

إنهم يعيشون في غيبوبة عن روحياتهم وعن أبديتهم...

* * *

وبداية عام جديد. هي مناسبة هامة للجلوس إلي نفسك

حاسب نفسك. بكل دقة. وبضمير صالح. وبلا مجاملة لذاتك. واحكم علي نفسك في كل ما اخطأت فيه. وأقمها من سقطاتها. واذكر عبارة ذلك المرشد الروحي الذي قال: احكم يا أخي علي نفسك. قبل أن يحكموا عليك.

حاسب نفسك علي الخطايا المتكررة في حياتك والتي كادت تصبح عادة لك أو طبعا. ولا تحاول ان تبرر ذاتك او تلتمس لنفسك عذرا في كل خطأ وقعت فيه. انما بالاكثر فكر في العلاج حتي لا تخطيء مرة أخري.

ان نفسك معك كل حين. وانت تعرف كل ضعفاتها وتعرف اسباب سقطاتك ونفسك تقبل منك التوبيخ والاصلاح فافعل ذلك في بداية هذا العام.

* * *

حاول ان توجه كل طاقاتك توجيها سليما. للصالح...

وان تكتسب طاقات اخري ربما تنقصك حاليا. وضع في نفسك ان تنمو باستمرار في ثقافتك وفي حسن تدبيرك وفي شخصيتك بصفة عامة وان تكون ناجحا في حياتك ومتفوقاً في نجاحك.

واهتم بنقاوة قلبك ولا تكن حياتك باستمرار عبارة عن صراع مع الشر وكيف تنتصر فيه بل لتكن حياتك ثباتا في الخير ونموا فيه.

والجأ في كل ذلك الي الصلاة لكي تأخذ معونة من الله تقويك في كل ما تريد عمله من الخير.

* * *

وليتنا نصلي في بدء هذا العام ان يكون عام سلام

نقول هذا والحرب تهدد العراق والاحتلال يهدد الفلسطينيين والمجاعات والايدز تشكل خطرا علي افريقيا والانحلال الخلقي والفكري يزحف في كثير من بلاد الغرب والبطالة تتعب كثيرا من شباب العالم وغير ذلك من الشرور... فنطلب من الله ان يتدخل بنعمته وقوته وصلاحه مشفقا علي العالم مدبرا له ما يصلحه.

وكونوا جميعكم بخير .